شخصية الحاكم فى مسرحيتى (الملك هو الملك) للكاتب العربى سعد الله ونوس و(الحكام القدامى والحكام الجدد) للكاتب الإيرانى مرتضى قلى خان - دراسة مقارنة -

د. آمال عبد المنعم أحمد

إن موضوع الحاكم، ومفاسده، وبطانته، وعلاقته بالرعية، وغيره من الأمور المتعلقة بالسلطة والحكم، من أبرز القضايا التى تناولها كُتاب المسرح فى بلدان العالم المختلفة، لاسيما فى بلاد التى تؤرقها الهموم السياسية، ويستشرى فيها ظلم الحاكم، ومفاسد النظام، كما فى إيران والدول العربية على سبيل المثال.

ومن أبرز المسرحيات العربية التى طرحت هذه القضايا، نذكر مسرحية (السلطان الحائر)(١) للكاتب المصرى توفيق الحكيم، ومسرحية (الملك هو الملك)(٢) للكاتب السورى (سعد الله ونوس)(×)، ومسرحية (مولاى السلطان الحسن الحفصى)(٣) للكاتب التونسى عز الدين المدنى، وغيرها. أما من أبرز المسرحيات الفارسية التى ناقشت هذه القضايا، نذكر مسرحية (الحكام القدامى والحكام الجدد)(٤) للكاتب (مرتضى قلى خان)(××)، ومسرحية (حكاية وكلاء النزاع فى تبريز)(٥) للكاتب فتح على آخوندزاده، ومسرحية (ألف مد وألف بدون مد)(٦) للكاتب غلام حسين ساعدى، ومسرحية (جيجك على شاه)(٧) للكاتب ذبيح بهروز، وغيرها.

وتتوقف الباحثة عند شخصية الحاكم فى المسرحية العربية (الملك هو الملك)، والمسرحية الفارسية (الحكام القدامى والحكام الجدد) فى دراسة مقارنة؛ بسبب أن المسرحيتين تركزان على صورة الحاكم، وأسلوب حكمه، وسياساته المتبعة فى حكم البلاد، كما تلقى الضوء على علاقة الحاكم بالمحكوم؛ ومايترتب على ذلك من قضايا سياسية تثير جدلاً داخل هذه المجتمعات، كالظلم والبطش والطغيان، والعدل والحرية و الديمقراطية، وغيرها.

ومما لاشك فيه أن الشخصية المسرحية هى الأساس الذى يُحرك العمل الدرامى؛ إذ لا نستطيع أن نقدم مسرحية من دون وجود شخصية تتفاعل مع الأحداث؛ لكى تصل القضية التى يريد المؤلف طرحها على الجمهور.(٨) لذا تقصر الباحثة جهدها على دراسة الشخصية المسرحية عبر تناول شخصية الحاكم فقط فى المسرحيتين موضوع الدراسة؛ نظراً لأن موضوع نظم الحكم وما يتعلق بها من قضايا، أمور يُعد الحاكم هو الفاعل الرئيس فيها؛ ومن ثمَّ فبدون دراسة شخصية الحاكم دراسة وافية لايمكن تقصى حقيقة النظام الحاكم بوضوح، أو الكشف عن ملامح صورته الحقيقية.

وإذا توقفنا عند شخصية الحاكم فى مسرحية (الملك هو الملك) للكاتب السورى سعد الله ونوس، فنلاحظ أنه قدم الحاكم فى صورتين: الملك القديم المعروف باسم (فخر الدين المكين)، وقد صوره فى نسقين: (الأول) وهو فى قمة مجده وتميزه؛ إذ كان يمثل السلطة المطلقة فى البلاد؛ حيث التصق بالعرش سنوات عدة، راسخ الأقدام، لم يقو أحد على أن يزعزعه، أو يهز عرشه؛ لذا يفاخر بذلك قائلاً: "سنوات بعدها سنوات، وأنا على هذا العرش".(٩)

فى هذه المرحلة التى يعيش فيها سطوته، أعد له الكاتب الأدوات المناسبة التى تكمل هيئته، وتحقق له هيبته، كما تساعد على توصيل الفكرة الرئيسة؛ فأتى بالخادم (ميمون) ليكون مدلكاً للملك؛ حتى يرمز بوساطته إلى جو الرفاهية

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الذى يغرق فيه الحكام. وصور شخصية (السياف) الذى يعشق الدم ولا يفارق الملك دوماً؛ ليرمز إلى أدوات البطش التى يملكها الحكام. كما صور (مقدم الأمن) بوصفه وسيلة من وسائل القمع التى يتوسل بها الحكام؛ لإخماد القلاقل والاضطرابات والقبض على الخصوم؛ وبذلك وفَّر للملك العناصر التى تمكنه من السيطرة على مقاليد الحكم وإخضاع الرعية والخصوم لقبضته.

وبسبب أن السلطة المطلقة تؤدى إلى فساد مطلق، فقد رسم الكاتب ملامح بناء شخصية الملك بوصفه حاكماً مستبداً، وديكتاتوراً فاسداً؛ يحيا حياة البذخ والرفاهية، ولا يعبأ بمشاكل الرعية أو يسعى إلى رفع الهموم عن كاهلها، بل يتلذذ بمعاناتها، فيقول: "عندما أصغى إلى هموم الناس الصغيرة، وأرقب دورانهم حول الدرهم واللقمة، تغمرنى متعة ماكرة. فى حياتهم الزنخة طرافة لا يستطيع أى مهرج فى القصر أن يبتكر مثلها".(١٠)

كما أنه يبطش بالشعب، ويذبح أفراده بنفسه حتى يشعر بالنشوة؛ إذ تُسكره رائحة الدم، بل ينتشى وهو يهوى بالبلطة وتتدحرج الرؤوس وتنبثق نوافير الدم، وهذا ما يؤكده سيافه حين يقول: "هى رعشة حسية لا توصف. لقد ذاقها الملك مرة، لا أدرى من أين جاءته تلك النزوة. نفذ أحد الأحكام بنفسه، فأدركت من رخاء حركاته أنه تذوق تلك الرعشة". (١١)

إن شعوره بسطوته وتميزه – فى شكل مبالغ فيه – ولَّد لديه نوعاً من الزهو بالذات، والثقة الزائدة، فتمكن الكِبر منه؛ ويتضح ذلك من حديثه مع وزيره حول الأعيان فيما يأتى:

"الـــوزير: تقلقهـم بعـض مظـاهـــر التـــراخى، ويخشـــون أن تُستفحـــل، وتنـقـلـب خطراً على مولاهم وعليهم.

المــــلـك: مولاهـم عـبـر الأخطـار الجسيـمة، ولـن تقض مضجعـه فقـاعـات تطفـو على سطح الحياة فى أى مملكة".(١٢)

كما يتضح كبره من قوله المتكرر "كثيـراً ما أشعـر أن هـــذه البـــلاد لا تستحـــقنى". (١٣)

وهو يشعر بالضيق والضجر كلما فكر فى أن هذه البلاد لا تستحقه، فيكرر أكثر من مـــرة " مزاجى غير معتدل / ما أشد ضجرى واعتلال مزاجى أيها الوزير / إن ضجرى أثقل من جبل"(١٤)؛ لذلك تبدأ الأحداث وقد تسرب الملل إلى قلبه، وتنتابه رغبة قوية فى أن يرفه عن نفسه بأسلوب مبتكر، فيختار أن يجعل من الرعية مادة للعب والتسلية؛ حيث يقرر أن يسخر من الرعية بعنف، ويعابث البلاد والناس؛ حتى يسرى عن نفسه، ويعبر عن ذلك قائلاً: "أريد أن ألهو، أن ألعب لعبة شرسة. (يتوقف لحظة) لدى ميل شديد إلى السخرية. بالضبط هذا هو ما احتاجه، أن أسخر بعنف وقسوة".(١٥)

وبالفعل يبتكر لعبته التنكرية التى بموجبها يحل أحد العامة محله على كرسى العرش، ويرتدى ثيابه الملكى وتاجه، ويقبض على صولجانه بدلاً منه، ويقع اختياره على أبى عزة المغفل، بينما يتنكر هو فى هيئة الحاج مصطفى أحد ندماء الملك ويقف خارج سياق اللعبة؛ ليراقبها، فيقول: "... آه، أحس أنى طفل نصب فخه باحكام، وهو ينتظر الآن تساقط الطرائد. أمامنا نهار ستتقطع فيه أنفاسنا من الضحك".(١٦)

إنه يتوقع أن لعبته التنكرية ستُربك الجميع سواء أكان (أبو عزة) المغفل الذى سيفيق من غفوته فيجد نفسه ملكاً للبلاد- وما ينجم عن ذلك من مفارقات مضحكة – أم أهل القصر الذين سيندهشون مما يحدث، ومما طرأ على شكل الملك من تغيير، فيصابون بالذهول؛ إنه يتوقع أن يتصرف الجميع وكأن القصر سكنه جنى، ويرى أن ذلك سيبعث على الضحك ويبدد ضجره، فيقول: "ستكون اللعبة شرسة ومبتكرة، وسأضحك. أضحك وأضحك حتى تُردم هذه الفجوة المعتمة من الضجر(يدق الأرض بالصولجان) وربما أوردت شيئاً عنها فى خطاب الاحتفال". (١٧)

ومن الملاحظ أنه حين شرع فى تنفيذ لعبته بدأت علامات نهايته، وهنا يقدمه المؤلف فى نسقه (الثانى)، وهو فى قمة إخفاقه، يعانى من الاحباط للدرجة التى يصاب معها بالجنون، فنسمعه يكرر أكثر من مرة هذه العبارة التى تشى بحالته الرثة، فيقول: " ما هذا!! أأنا مسحور أم أصاب عقلى أمر من الأمور".(١٨)

لقد خاب ظنه، وخالف الحدث توقعاته، وباءت لعبته بالفشل؛ فبدلاً من أن ترفه عنه وتثير ضحكه، وتبدد ضجره، أصابته بالدهشة والذهول، وألقت به فى بحر من المعاناة؛ حتى أُصيب بالهذيان والجنون. وقد وصل لهذه الحالة المزرية؛ لأنه نسى شرطه التاريخى وسبب وجوده فى الحكم (الرداء – التاج – الصولجان – العرش)؛ فهذه هى رموز السلطة

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

التى يتم تجريد الملك فيها؛ أى إن الملك فى المجتمعات الطبقية ليس سوى رموز وعلامات، هذه الرموز والعلامات تعادل الملك وتشكل ملامح سحنته، لكن الملك فخر الدين المكين لم يحافظ على هذه الرموز أو يحرص عليها بسبب كِبره، وغطرسته، وثقته المتزايدة، بل استهتر بالرداء الملكى، واستخف بالتاج، وأرخى قبضته على الصولجان، وأخذ يمزح بعرشه؛ كل ذلك من أجل أن يلهو ويعبث ويسخر؛ لذلك كان من المحتم أن تأتى نهايته، وهذا ما يؤكده وزيره قائلاً: "علامة النهاية أن ينسى الملك شرطه، ويعامل بالاستخفاف ثوبه وتاجه".(١٩)

فلاشك فى أنه حين يستهتر الملك، ويخلع عن نفسه علامات السلطنة، تلفظه الحاشية، فيصاب بالضعف والوهن؛ إذ إن الحاشية هى السبب الرئيس فى جبروت الحاكم؛ فالحاكم الديكتاتور لا يأتى إلى السلطة منفرداً، ولا عن طريق انتخابات حرة شريفة يقول الشعب فيها كلمته، وإنما يجىء بمساعدة بعض مراكز القوى فى المجتمع، سواء أكانوا رجال دين أم سياسة أم أثرياء؛ لأن مصلحتهم تقتضى أن يأتوا به ويدعموا نفوذه؛ لأنهم يستمدون قوتهم من قوته، ويتضح ذلك مما دار بين الملك ووزيره فى حديثهما معاً وهما متنكران فى زى نديمين للملك؛ حيث يقول الوزير متنكراً فى زى الحاج محمود: " اهدأ يا حاج مصطفى، ولا تفضحنا، إن الذين عينوك لا يحبون ملكاً بدأ يستهتر ويضجر، أو وزيراً لا يعرف ما يجرى فى البلاد". (٢٠)

لقد جعل الكاتب من فى القصر جميعهم من رموز السلطة والحاشية والخدم، ينكرونه، ويقدمون الولاء والطاعة للملك المزيف (أبو عزة)؛ لا لشىء سوى أنه ارتدى الرداء الملكى والتاج، وقبض على الصولجان، وجلس على العرش؛ فانمحت ملامحه الإنسانية، وذابت فى رموز السلطة وعلاماتها، ليتعلم فخر الدين المكين أن من حوله عبيد للتاج والصولجان.

وهكذا تشظت شخصيته وانشطرت إلى قسمين متناقضين؛ فبدأ فى قمة غطرسته واستبداده وانتهى بلوثته وجنونه، بدأ وهو يتحكم فى أمور البلاد والعباد وانتهى وهو لا يستطيع لهما أمراً، بدأ وهو يملك كل شىء من سلطة ومال وجاه وانتهى وهو لا يملك أى شىء.

أما بالنسبة للملك الجديد المزيف المعروف باسم (أبو عزة)، فقد صوره الكاتب فى صورتين متناقضتين: الأولى(أحد الرعية)، والثانية (ملك البلاد)؛ وذلك ليوضح عبر هذا التناقض قدرة النظام السياسى السلطوى القائم على صنع الطغاة؛ إذ يبتلع الأفراد، ويدمجهم فى تروسه، ثم يعيد إنتاجهم من جديد فى صورة طغاة جدد أشد بأساً وقوة عن ذى قبل، وهذا ما يتبدى من خلال وجهى (أبو عزة) المتناقضين.

ففى وجهه (الأول)، قدمه الكاتب فى صورة رثة، وجعل منه شخصية مستضعفة، قليلة الهمة، عديمة الحيلة، مصوراً إياه بوصفه تاجراً مفلساً، سُرقت أمواله، وفسدت حياته، وأصبح يعيش مع أسرته فى فقر وعوز، فتقول زوجته: "عندى رجل قليل الهمة، عديم الحيلة، تكاتف عليه أولاد الحرام، وهم فى هذه الأيام أكثر من أولاد الحلال، فسرقوا ماله، وأودوا بتجارته، حل الإفلاس، وبدأت تتراكم الديون والسندات، بعنا كل ما لدينا، ولم يبق إلا الدار التى تؤوينا أصبحنا على الحصير".(٢١) كما جعل الكاتب الناس يصفونه بالمغفل من كثرة ما فعله فيه خصومه، غير أنه يترك زوجته تنزل إلى العمل لتوفر قوت يومهم وتسد احتياجات البيت، فيقول: " الناس يصفوننى بالمغفل، ويقولون إنى أعيش من سعى امرأتى ولا أخجل".(٢٢)

وهو لا يفارق بيته؛ إذ يقبع غارقاً فى الخمر الذى أودى بعقله، وأغرقه فى الأوهام؛ حتى أصابه الجنون والهذيان، فيقول لخادمه عرقوب الذى أحضر له خمراً معتقة صهباء: "…. لا داعى للأقداح، أحب أن أحسو من الزجاجة وهى ملأى (يدندن) هات المدام وارم الكاسات… باللالى (يرفعها ليحتسى منها…)". (٢٣)

وتتأكد لوثته وجنونه مما تردد على ألسنة الشخصيات القريبة منه، فيردد خادمه عرقوب موجهاً حديثه إلى عـزة : "(يغنى باستخفاف) عندما يصحو أبوكِ من الجنون، ويدفع ما عليه من الديون"(٢٤)؛ وتردد زوجته أم عزة وهى تشكو حالها إلى الحاج مصطفى "وهو اشتدت عليه اللوثة، وضاع عقله فى الهلوسة / البيت خرب ورب البيت عقله مختل".(٢٥)

وبدافع من لوثته وجنونه يحلم بالسلطة والحكم، ويتمنى أن يجلس على عرش البلاد ليوم واحد حتى ينتقم من خصومه الذين نهبوا أمواله، وتسببوا فى تردى أحواله، وبالفعل يتحقق حلمه، ويتحول الوهم إلى واقع ملموس؛ إذ ينقله الكاتب بغتةً من حياة العامة إلى حياة

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الملوك، ويحوله من تاجر مفلس إلى ملك للبلاد، وهذا هو الوجه (الثانى) الذى يظهر به؛ إذ يتبدى فى صورة حاكم ديكتاتور، صارم وحازم، يتسم بدهائه ومكره، ويبدو أشد بطشاً وأكثر قوة من الحاكم السابق؛ وقد حدث له هذا التحول المباغت لمجرد أنه جلس على كرسى العرش، وارتدى الزى الملكى، والتاج، وأمسك بالصولجان.

إنه فى الأصل لم يكن سوى فرد من أفراد المجتمع، لكنه انفصل عن الآخرين، وتميز عنهم بارتدائه كساء زاهى، أو لأنه تنكر فى شخصية أخرى، انتقل بوساطتها من كونه شخصية من عامة الشعب إلى شخصية تمثل الطبقة الحاكمة، وهذا ما يؤكده عرقوب، فيقول: "هذا النهار، سيعتلى معلمى العرش، ويحكم ... هو واحد منا. من حينا وعامتنا، فماذا سيعطينا؟ ".(٢٦)

ولاشك فى أن أى فرد من عامة الشعب حين يتحول إلى ملك، فمن المنطقى أن يمنح شعبه ورعيته الحق والعدل والمساواة، وأن ينعم عليهم بكل ما فيه الخير والصلاح، بوصفه واحداً منهم، عاش بينهم، وشعر بمعاناتهم، لكن ماحدث جاء مخالفاً للواقع؛ فبدلاً من أن يقوم برفع الظلم والجور عن الرعية، زادها ظلماً وجوراً؛ ويُعد ذلك من شروط لعبة الديكتاتورية المستبدة.

وبسبب أنه تقولب فى الكيان السلطوى، وانطبعت ملامحه عليه، أصبح – مثل الحاكم السابق– يتلذذ بمعاناة الرعية، ولا يعبأ بهمومها، بل يجد فى أحوالها الوضيعة طرافة تسره، فيقول: ".. تلذنى بساطة الرعية وهى تكشف عن عورتها، وتتحدث عن همومها الصغيرة ".(٢٧)

وبدافع من مكره ودهائه تناسى انتقامه من خصومه – الذى طالما حلم به – بل تضامن معهم؛ نظراً لتلاقى مصالحهم معاً، فخصومه هم الآن حاشيته التى تدعم عرشه، وتساعده على استتباب وضعه، فهو مستفيد أعظم استفادة من وجودهم، ووجودهم مرهون بوجوده، فمصلحته تقتضى بقاءهم؛ إذ يكمل كلاهما الآخر ويدعمه؛ لذلك لا يعنيه إن كانت تلك الحاشية فاسدة أم صالحة، ترعى مصالح الناس أم تهملها، كل هذا لا يعنيه، إنما الأهم هو الولاء والطاعة له، وهذا هو الشرط الأوحد لكل من يحب أن يكون من زبانية الملك.

ولكى يرسخ هذا الديكتاتور الجديد أركان ملكه، يُحكِم قبضته على البلاد والعباد، ويقمع الشعب ويخيفه؛ حتى لا يثور ضده، ووسيلته فى ذلك ذبح الرعية، والزج بهم فى السجون، وقطع رقاب كل من يحاول الخروج على نظامه، ويتجلى ذلك فى حديثه مع سيافه، فيقول: "... أريد أن اتحد بالحديد، أن نصبح كتلة واحدة، ونصلاً واحداً. هكذا .. ستظل أيها السياف إلى يمينى. البلطة تسند يدى، وتنفذ فى مسامى؛ حتى يندغم واحدنا بالآخر، الملك والبلطة"(٢٨)، ويردد فى موضع آخر: "... سندحر الفوضى إلى السجون، وننشط البلطة حتى تقطع دابر كل فتنة ".(٢٩)

كذلك يستعين بجهاز أمنى صارم ليكمم أفواه الرعية ويجهض أى تحركات شعبية ضده، ومن شدة غطرسته وسطوته لم يكتف بذلك قط، بل يراقب جهازه الأمنى الذى يراقب له الرعية؛ حيث إن النظام الديكتاتورى قائم على الشك والريبة فى كل من حوله، ويخشى الانقلاب عليه بغتة، وهذا مايؤكده الملك أبو عزة بنفسه حين يقول لوزيره: " وهناك تدبير عاجل أريد أن تباشر به، سنشكل جهاز أمن يراقب مقدم الأمن وجهازه ".(٣٠)

أما إذا توقفنا عند شخصية الحاكم فى مسرحية (الحكام القدامى والحكام الجدد)، فنجد الكاتب قد صوره عبر مرحلتين: (الأولى) مرحلة ما قبل الثورة الإسلامية فى إيران عام ١٩٧٩م، وقد أسماه (مزخرف الملك) وجعله حاكم على مدينتى "سولقان وسنجان"، ورمز به إلى الحكام القدامى وطغيانهم فى فترة ما قبل الثورة؛ لذلك صوره حاكماً ديكتاتورياً، طاغياً، يسعى إلى الانفراد بالسلطة، والاستبداد بالحكم؛ إذ يطمع فى السيطرة على زمام الأمور جميعها من ضرائب، وقضاء، ومالية، وحكومة وغيرها، بل يرغب فى إدارة شؤون البلاد كيفما يترائى له من دون أن يتدخل أحد فى قراراته أو يناقشه فيما يفعل من أمور، مؤمناً بأنه وحده هو الذى يجب أن يأمر وينهى، بينما على الجميع – من عمال وخدم ورعية – السمع والطاعة لأوامره فحسب، وكأنه ظل الله على الأرض، وهذا ما يتضح من قول كاتب الحكومة على النحو الآتى:

"كاتب الحكومة: بلا شك يا صاحب السمو، تريد معاليك أن تحكم، وتتدخل فى الأعمال جميعها، وتشارك فيها، وتأخذ الضرائب، وتكون أيضاً رئيس المحكمة، أيضاً قائد الجيش، أيضاً أمين المالية والأوقاف، أيضاً

أمين الوظائف، أيضاً السيد الحاكم، وأيضاً نائب الحكومة. بالطبع الأمر لا يصير بلا عناء، أيضاً يا صاحب السمو لا يجب على معاليك أن تحزن كل هذا القدر. إن معاليك حمداً لله لا ترد حتى قراناً واحداً لشخص قد قدمه لك، ولديكم أيضاً شخص مثل نائب صفدرخان كبير الخدم وهو حكيم أيضاً، مغسل أيضاً، حفار قبور أيضاً، ومصلى وصائم. ويقوم بكل عمل يرغب فيه، فيومياً يعاقب مائة شخص، ويعمل يساراً ويميناً، يفكر ويفكر، يدبر وينفذ، وليس هو الشخص الذى يسأل لماذا ؟! معاليك أيضاً ماشاء الله ماشاء الله قوى الشخصية، لا يستطيع أحد أن يتحدث معك". (٣١)

وجدير بالذكر أن الكاتب جعل البطش من السمات الأساسية فى بنية شخصية الحاكم (مزخرف الملك)؛ لذلك رأيناه يبطش فى كل صوب واتجاه من دون أى اعتبارات، للدرجة التى كان يستولى معها على رواتب موظفى الدولة وجنودها، بل لم يمنحهم أى حقوق؛ مما أدى إلى تفاقم مشكلة تأخر صرف الرواتب. وحين طالبه البعض بصرف رواتبهم، سبهم، واتهمهم بالتمرد، كما هددهم بالعزل من وظائفهم ومناصبهم؛ حتى يتراجعوا عن مطالبهم هذه؛ فهو يدرك – تماماً – مدى أهمية الوظيفة لكل منهم فى توفير احتياجاته وقوت يومه لأبنائه وأسرته، وتدلل الباحثة على مدى بطش الحاكم بالموظفين والجنود، وإلى أى مدى يستنكر عليهم حقوقهم ورواتبهم، ويستبيحها لنفسه، مما يأتى:

"كبير الخدم: (يدخل) سيدى، هؤلاء الجنود الذين أمرتم أنهم يجب أن يطبقوا القانون، فروا من الجوع. يقال أيضاً أنهم تجمعوا أمس فى منزل مسؤول الخزانة وكان حديثهم هذا: بأن الحصص والرواتب التى تعطيها لنا الدولة، ينهبها الحاكم، ولم يعطنا منها شيئاً. وقد ذهبوا من هناك، و تحصنوا داخل ضريح "إمامزاده" وكانوا يصيحون: يا على!

الحاكم: يا لها من أخطاء كثيرة! اذهب وقل لهؤلاء، يحرق أبوهم: قسماً بروح السيد العظيم، إن لم تأتوا على الفور، سأكتب إلى قادتكم ليعزلوكم جميعاً. ما هذا الهراء الذى يقولونه؟ فالجندى يجب أن تكون عيناه عمياء (يجب أن يكون مطيعاً)، ويذهب لكسر الحطب، ويعد العتالة، ويقوم بالترقيع. فأى حصص، ورواتب هذه؟". (٣٢)

ومن الملاحظ أن الرشوة كانت السلوك الرئيس الذى يحكم أفعال الحاكم، وحاشيته، وتصرفاتهم جميعها؛ وكى يبرز الكاتب اذا السلوك بوضوح، ويؤكده، باعتباره سمة متأصلة فى حكام تلك الحقبة التى يرمز إليها، نسج وقائع عدة عبر أحداث مسرحيته: (الأولى) تصور ماقدمه نائب صفدرخان من المال على سبيل الرشوة إلى رئيس جناح الخدم فى طهران؛ ليلحقه بوظيفة كبير الخدم فى "سولقان وسنجان"، فيقول:

"النائب: كلما أتخيل أنه يصلنى كسرة الخبز من أجور "على آباد" وأننى قد قدمت فى طهران مبلغاً من المال على سبيل الهدية إلى نائب جناح الخدم، السيد حاجب الدولة، كى يجعلنا نأتى إلى هذا الحاكم، وها أنا هنا يقدمون لى كسرة الخبز؛ كى أرسلها إلى زوجتى وأطفالى". (٣٣)

و(الثانية) تمادى كبير الخدم بعد أن تولى وظيفته فى تقاضى الرشوة؛ حيث تقاضى عشرين طوماناً من أحد التجار، قبل مثوله أمام الحاكم للبت فى دعواه ضد أحد البقالين؛ وذلك لينهى الجولة لصالحه بإدانة البقال، ويأتى هذا على لسان الكاتب، فيقول:

"كاتب الحكومة: يدفع الحاج عباس عشرين طوماناً حتى يجلس فى حضور صاحب السمو". (٣٤)

و(الثالثة) تتمثل فى الأمر الذى وجهه الحاكم إلى أمين الأوباش، والذى يقضى بدفع رشوة ثمينة لضيفه (قهرمان خان)؛ الذى أتى من طهران، حاملاً معه فرمان من الصدر الأعظم يقضى بتحريم صيد الطيور خلال شهرين محددين من العام؛ إذ يُعد (قهرمان خان) أحد المصادر الأساسية التى يستثمرها الحاكم فى نقل الأخبار له من العاصمة، وهذا ما يتضح مما يأتى:

"الحاكم:(إلى قهرمان خان) حسناً، حقاً ماذا كانوا يقولون عننا فى طهران؟

قهرمان خان: سيدى، فى المجمل لم يتحدثوا بصورة طيبة بعض الشىء، خاصةً فى اليوم الذى أردتُّ أن أتحرك

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

فيه، أمرهم الصدر الأعظم بأن يرسلوا برقية إلى حاكم "سولقان" تفيد بأن رعايا "طاهر آباد" يشكون من معاليك، وكان تفصيلها هو أن فى هذين اليومين سوف يُرسل مسؤول بصفة خاصة، وأنا لا أعلم ماذا فعل محامى معاليك مذبذب الملك، وماذا أهدى الصدر الأعظم إلى الكاتب؛ حيث رجع الورق وحُكم أن تُحققوا بأنفسكم.

الحاكم:(إلى الأمين) يا أيها الأمين، أحمل هذا الصديق، أعطيه مايكفيه واجعله يمشى".(٣٥)

أما الواقعة (الرابعة) فتصور ما يدفعه الحاكم (مزخرف الملك) من رشوة لرئيس البرق؛ حتى يحول دون وصول شكاوى من الأهالى ضده إلى الصدر الأعظم فى طهران، فيقول:

"الحاكم : يا رئيس البرق أريد أن أعلم، ربما أكون قد تأخرت عليك فيما أقدمه إليك؟ إن كل ما يصلنى من أشياء طيبة أرسل منها أولاً ما يختص برئيس البرق، من كل صيد جيد، من كل هدية، أول ما يُرسل يكون لرئيس البرق، إذن ما هذه الألاعيب؟ ما هذه البرقيات؟ (يُسلم البرقية إلى رئيس البرق) لعلك لم تكن موجوداً هنا؟ لعلك لم تقم بمنع ذلك؟ إذن لم أمنحك خمسين طوماناً حق السكوت؟ أى وضع هذا ؟".(٣٦)

أما عن شخصية الحاكم فيما بعد الثورة الإسلامية، فيُعرف باسم (جاهد الملك)، ويرمز المؤلف به إلى الحكام الجدد واستبدادهم فى فترة ما بعد الثورة؛ لذلك جعل التسلط والطغيان من أبرز سمات شخصيته؛ فبمجرد وصوله إلى السلطة – بعد مرور خمسة أشهر على عزل الحاكم السابق مزخرف الملك – يعرب منذ الوهلة الأولى عن شخصيته الديكتاتورية المستبدة؛ إذ يسعى للانفراد بالحكم، ولا يرى مبرراً لوجود إدارات الشرطة، والمالية، والأوقاف، والمحكمة وغيرها؛ لأنه يؤمن بأن السلطة يجب أن تكون فى يده بمفرده، ولا يقاسمه إياها أحد؛ ويُعد ذلك أول مظهر استبدادى لسلوك الحكام الجدد المتسلطين، ويتضح ذلك مما يأتى:

"الحاكم: (إلى السيد النائب) حسناً أيها السيد النائب، تفضل وضح لنا كيف هى الأوضاع هنا ؟ وكيف تسير أعباء العمل؟ وكم تكون عوائد الحكومة؟ وهل الدعاوى كثيرة أم قليلة؟ وهل تُحصل الضرائب أم لا ؟

النائب: .....إننى لا أفهم وجهة نظر معاليك؟! إذا كنت تقصد انتظام المدينة، فنحن نحافظ على استقرارها رغم الصعوبات الكثيرة، وانعدام الوسائل اللازمة للعمل. وإن كنت تقصد كيفية تدبير أمور المعاش لى وللموظفين، فهو أمر غاية فى الاضطراب؛ بسبب عدم وصول الرواتب منذ شهور عدة. أما فيما يتعلق بالعوائد فليس للحكومة أية عوائد، وما يتعلق بالدعاوى فهو أمر يختص بالحكومة، وما يتصل بالمالية فهو أمر يختص بإدارة المالية.

الحاكم: وفقاً لهذا الذى تقوله، فإن تنظيم المدينة يرجع للشرطة، وعرض الدعاوى للقضاء، والضرائب لموظف المالية، والأوقاف– بالطبع - لمختص الأوقاف، .... إذن نكون أنا وحضرتك حكاماً لبيوتنا، والديوان، حقاً فلماذا كانوا قد أرسلوننا ؟!".(٣٧)

وكى يعمق الكاتب السمة الاستبدادية المتأصلة فى شخصية الحُكام الجدد فيما بعد الثورة، جعل (جاهد الملك) يسعى حثيثاً إلى السيطرة على زمام الأمور كلها، ولم يسمح لأى شخص فى البلاد أن يراجعه أو يسائله فيما يفعل؛ حيث يعتبر ذلك هتكاً للعرض والشرف؛ فالحاكم – من وجهة نظره – يجب أن يكون حراً فيما يتخذه من قرارات، وعليه أن يفاخر بكونه حاكماً مطلقاً؛ ومن ثم لا يجب مسائلته أو الاعتراض على أوامره، وعلى الجميع السمع والطاعة فحسب، وقد جاء ذلك على لسان الحاكم حين كان رئيس المالية يسأله عن سبب حبسه لعمدة "عبد الآباد"، فيثور غاضباً، ويقول:

"الحاكم: أنا الحاكم، أنا حر، وكل ما أقوم به يجب أن تمتثل له، أتقوم بمساءلتى؟!".(٣٨)

كذلك جعله الكاتب لا يعترف بالنيابية والحكم الديمقراطى، بل يستنكر ما تعنيه النيابية والديمقراطية من أن يكون الإنسان رئيساً لنفسه، ولا سطوة عليه من أحد؛ إذ يرى أن العين لا يجب أن تعلو عن الحاجب؛ ومن ثم فإن الحاكم

سيظل – من وجهة نظره – هو المسيطر على مقاليد الأمور، وهو الرئيس الأوحد للبلاد، فيقول:

"الحاكم: عجباً عجباً عجباً، إنك تقول كلاماً غريباً؛ إذ قد أرسلونى هنا لأكون تماماً كحمار الحديقة، أجلس منذ الصباح وحتى المساء أحرس هذا وذاك؛ لا أيها السيد النائب، لم يصدر أى قانون يحكم بمثل ذلك، وقالوا إن الحاكم يواصل الصباح بالمساء ويحكم بالضرب والفلك، وربما كان قد تعامل مع الدعاوى، وسمع شيئاً قد قاله الناس؛ فقد قالوا النيابية، وقد ذكروا القانون الذى يعنى أنه يجب أن يكون لجامهم فوقهم (أن يكونوا رؤساء أنفسهم)، وأن يقوموا بأى عمل يودون فعله، ولا يستطيع أى شخص أن ينكر أن العين لا تعلو عن الحاجب ولا شىء مثل ذلك، أننى أعلم واجبى جيداً".(٣٩)

ومن السمات الأخرى التى عُرف بها الحكام الجدد، وقد رسخها الكاتب فى شخصية (جاهد الملك) كى ينتقد هؤلاء الحكام واستبدادهم، إهمال القانون وعدم احترامه؛ لذلك جعل الحاكم الجديد (جاهد الملك) يتجاهل القانون – تماماً- فى تصرفاته وقراراته كلها، بل يهمل وجوده، ولا ينفذ منه شيئاً، بينما يقوم فى المقابل بتنفيذ الأوامر العليا من دون اعتراض؛ لأنه لا يملك غير الطاعة خوفاً على منصبه؛ فكان بذلك أنموذجاً واضحاً للحاكم الفاسد فى قهره، وتسلطه فى ظل النيابية والحكم الديمقراطى المزعوم؛ وكى يؤكد المؤلف على تلك الصورة القاتمة لتلك الفترة، جعل الحاكم يقبض على اثنين ظلماً وبهتاناً من دون سند قانونى أو تهمة واضحة، فقط لمجرد أن ورد اسمهما ضمن قائمة المتهمين السياسيين التى أحضرها معه من طهران، أحدهما من (المتفرنجين) والآخر يُدعى (اسفنديار)، وحين حاولا الاستفسار عن سبب القبض عليهما، لم يقدم لهما الحاكم إجابة شافية، بل وعدهما بالحبس فى المدينة، وعدم ترحيلهما إلى العاصمة، فتعجب أحدهما من الحرية الزائفة، وسخر من المملكة النيابية المزعومة، وندد بالحاكم القانونى المتسلط، وقد ورد ذلك على النحو الآتى:

" اسفنديار: عجباً على هذا العهد القانونى، عجباً على أيام الحرية، عجباً على مملكة النيابية!! أهذا هو الحاكم القانونى؟! أهذا هو نائب الحكومة ؟! إذن فلتأمروا بأن تكون المشاعر الوطنية وأفكار الأهالى فى الحبس كلها".(٤٠)

ولم يغفل الكاتب – كذلك - مبدأ الرشوة الذى كان بمثابة الداء المزمن والذى استشرى بين حكام إيران فى العهود كلها، سواء قبل الثورة أو بعدها؛ لذلك جعل الحاكم الجديد (جاهد الملك) يتعامل – هو الآخر- بمبدأ الرشوة ذاته كالحاكم القديم (مزخرف الملك)، فيقوم بدفع مبلغاً شهرياً من المال قدره خمسين طوماناً إلى رئيس البرق؛ كى يحول من دون وصول أية شكوى أو دعوى ضده إلى الصدر الأعلى فى العاصمة طهران – مثلما كان يفعل الحاكم القديم تماماً – فيقول:

"جاهد الملك: .... التلغرافجى خرب الله بيته، يأخذ منى راتب حكومى خمسين طوماناً شهرياً، ومقابل ذلك، بدلاً من أن يحضر التقارير ويعطيها لى، يذهب ويرسلها إلى طهران".(٤١)

× وهكذا تشابهت ملامح الحاكم فى كل من الدول العربية وإيران، لاسيما وقد مر المجتمعان العربى والإيرانى – خلال القرن العشرين – بمرحلة تاريخية وحضارية صعبة ومعقدة، مرحلة متشابهة تداخلت فيها القيم والمعايير، وبرز معها حشد من المتناقضات التى طفت على السطح بفعل المتغيرات التى عايشاها كل مجتمع من استعمار، وثورات، وحروب، وغيرها؛ ومن ثم فقد كان المناخ العام مهيئاً لظهور الحاكم الديكتاتور الذى يسيطر، ويسود.

وفى الختام توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج على النحو الآتى:

- اتفقت المسرحيتان على أن كلا الحاكمين – العربى والإيرانى – هو المسيطر على مقاليد الحكم بانفراد، واستبداد، من دون قوى الشعب بوصفه طاغية، ظالماً، مفسداً، يغتصب حقوق الشعب، ويسطو عليها.
- رسمت المسرحيتان الحاكم فى صورة أنانى متكبر، يتفنن ليسود ويستأثر، ويضع مصلحته الشخصية نصب عينيه دائماً، من دون مصلحة الشعب.
- صورت المسرحيتان غياب حرية الرأى

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

والتعبير لدى المحكوم؛ لأن الحاكم لايسمح بهما مطلقاً؛ لما تمثلاه من خطورة مؤكدة على نظام حكمه؛ فالحاكم لا يتوانى عن إنزال أشد أنواع العقاب لأصحاب الآراء والأفكار التى تعارض سياسته الديكتاتورية.

- أوضحت المسرحيتان أنه حين يكون الحاكم على هذه الشاكلة، فمن المحتم أن أحوال الرعية ليست على مايرام؛ إذ من البدهى أن تسوء الحالة الاقتصادية، ويعانى الشعب من الفقر والجوع، ومن يتجرأ أو يعارض يُزج به فى السجن، أما هو فينفصل عن الشعب، ولا يعبأ بأموره ومطالبه.

- أكدت المسرحيتان على أن مسؤولية فساد العلاقة بين الحاكم والمحكوم هى مسؤولية مشتركة بين الاثنين؛ فالحاكم الديكتاتور المتسلط يقابله محكوم خانع، مستكين، جبان، لايقوم برد فعل - من أجل ردع الحاكم - يعادل عنفوان الحاكم، ومدى بطشه، وغلظته، وقسوته.

- كان الشعب فى المسرحيتين مغترباً فى بلده، لاينعم بخيراتها وثرواتها؛ بل يرزح تحت نير الذل والهوان، ويعانى اضطهاد الحاكم، كما أن الخوف من الحاكم تبدى باعتباره عقدة كامنة فى أعماق المحكوم، وهى مشكلة ترسبت منذ القدم، فى نفوس الشعوب المستكينة الكادحة، وهى السبب فى تردى أحوال الرعية وتعاظم فساد الحكم.

المصادر والمراجع

١- توفيق الحكيم: السلطان الحائر، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٥.

٢- سعد الله ونوس: الملك هو الملك، سوريا، دار ابن رشد، ١٩٨٠.

(×) كاتب سورى وُلد عام ١٩٤١م، وتوفى عام ١٩٩٧م، ويُعد من أبرز كتاب المسرح السياسى العربى، وقد مرت مسيرته الأدبية بثلاث مراحل، تنتمى مسرحيته السياسية (الملك هو الملك) التى كتبها عام ١٩٧٧م للمرحلة الثانية التى اهتم فيها بتحليل بنية السلطة. للاستزادة انظر، فؤاد دوارة: "نحو مسرح عربى جديد" حوار مع الكاتب السورى سعد الله ونوس، (مجلة الهلال)، القاهرة، دار الهلال، إبريل ١٩٩٧، ص١٨٨.

٣- خليفة الاسطنبولى: مولاى الحسن الحفصى، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣.

٤- انظر، مرتضى قلى خان: مسرحية (الحكام القدامى والحكام الجدد)، ترجمة: آمال عبد المنعم، القاهرة، المجلس الأعلى للترجمة، ٢٠١٨. (تحت النشر)

وللاطلاع على النص الأصلى بالفارسية انظر، مرتضى قلى خان: حكام قديم – حكام جديد، جمشيد ملك پور: ادبيات نمايشى در ايران، جلد دوم، تهران، انتشارات توس، ١٣٤٣ش، ص ص٢٩٩، ٣٤٣.

(××) كاتب إيرانى وُلد عام ١٢٨٨هـ.ق / ١٨٧١م، وتوفى فى عام ١٣٣٧هـ.ق/ ١٩٢٠م، واتسم بميوله السياسية، فكتب خمس مسرحيات سياسية، من أبرزها مسرحيته (الحكام القدامى والحكام الجدد) التى ناقشت قضية فساد الحكام واستبدادهم بالسلطة.

للاستزادة انظر، حسين مرتضائيان آبكنار: معرفى وبررسى آثار داستانى ونمايشى از ١٢٥٠ تا ١٣٠٠ شمسى بر اساس پژوهش هاى طرح قطور مضامين داستانى گروه ادبيات معاصر، مجموعه ادب معاصر فارسى ٥، تهران، فرهنگستان زبان وادب فارسى، ١٣٨٧هـ.ش، ص ص١١٤- ١١٦.

٥- حول المسرحية انظر، فاطمة برجكانى: تاريخ المسرح فى إيران منذ البداية إلى اليوم، ط١، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامى، ٢٠٠٨، ص١٠٠.

٦- حول المسرحية انظر، منى أحمد حامد: من المسرح الإيرانى (ألف مد، وألف بدون مد)، القاهرة، زهدى للطباعة، ٢٠٠٣، ص ص ٣٦- ٣٧.

٧- حول المسرحية انظر، عبد الوهاب علوب: المسرح الإيرانى، القاهرة، مركز الدراسات الشرقية-جامعة القاهرة، ع(٦)، ٢٠٠٠، ص٥٦.

٨- نبيل راغب: "رحلة الشخصيات بين المسرحية والرواية"، (مجلة المسرح) ع (٨٨)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مارس ١٩٩٦، ص ص٥٩-٦٠.

وانظر،

John Galswarthy: Creation of Character in Literature، In Candelabra Charles، Scribnersons، ١٩٩٣، P.٢٩١.

٩- سعد الله ونوس: الملك هو الملك، مصدر سابق، ص٥.

١٠- المصدر نفسه، ص٦.

١١- المصدر نفسه، ص٣.

١٢- المصدر نفسه، ص٥.

١٣- المصدر نفسه، ص٥.

١٤- المصدر نفسه، ص ٥.

١٥- المصدر نفسه، ص٥.

١٦- المصدر نفسه، ص١٩.

١٧- المصدر نفسه، ص٦.

١٨- المصدر نفسه، ص٣٣.

١٩- المصدر نفسه، ص١٩.

٢٠- المصدر نفسه، ص٢٨.

٢١- المصدر نفسه، ص٣.

٢٢- المصدر نفسه، ص١٣.

٢٣- المصدر نفسه، ص١٣.

٢٤- المصدر نفسه، ص١٠.

٢٥- المصدر نفسه، ص١٥.

٢٦- المصدر نفسه، ص ص١٢، ١٣.

٢٧- المصدر نفسه، ص١٠.

٢٨- المصدر نفسه، ص٢٠.

٢٩- المصدر نفسه، ص٣٣.

٣٠- المصدر نفسه، ص٣١.

٣١- مرتضى قلى خان: مسرحية (الحكام القدامى والحكام الجدد)، ترجمة: آمال عبد المنعم، مصدر سابق، ص٥.

٣٢- المصدر نفسه، ص١١.

٣٣- المصدر نفسه، ص٢.

٣٤- المصدر نفسه، ص٧.

٣٥- المصدر نفسه، ص ص١٦، ١٧.

٣٦- المصدر نفسه، ص١٤.

٣٧- المصدر نفسه، ص٢٥، ٢٦

٣٨- المصدر نفسه، ص٣٢.

٣٩- المصدر نفسه، ص٢٦.

٤٠- المصدر نفسه، ص٣٧.

٤١- المصدر نفسه، ص٤٢.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2